مفهوم اللغة الشعرية بين تنظير القدماء وتأصيل المحدثين

The Concept of Poetic language between the rational perspective and the modernone

د . كرباع علي .
(جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي)

أ / عفاف خلوط .
(جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي)

الملخَّص :

لا ريب أنه باللغة الشعرية يتم تحقيق التفرد والخصوصية في النتاج الفني؛ وذلك بإعادة تشكيل اللغة من خلال استخدام صور إيحائية ومجازية شتى، ما جعل هذه اللغة تستحوذ على اهتمام النقاد القدامى والمحدثين.

فالروح الشعرية تتجلى في قدرة هذا الشاعر أو ذاك في توظيف موهبته اللغوية من خلال حسن اختيار ألفاظه وترتيبها في نسق معين.

وفي هذه الدراسة سيتم تسليط الضوء على هذه اللغة من حيث المفهوم قديما وحديثا، وذلك باعتماد الانتقاء لأبرز النقاد الذين كان لهم عميق الأثر على اللغة الشعرية

الكلمات المفتاحية: اللغة الشعرية . النقاد القدماء . الشعر. النقاد المحدثون . الإبداع.

Summary:

There is no doubt that in poetic language, uniqueness and privacy are achieved in the artistic product. And by reformulating the language through the use of various suggestive and metaphorical images, which made this language capture the attention of old critics and modernists.

The poetic spirit is reflected in the ability of this or that poet to employ his linguistic talent through a good choice of words and arranging them in a specific order.

In this study, this language will be shed light in terms of its concept, in the past and present, by adopting the selection of the most prominent critics who had a deep impact on the poetic language.

Key words: poetic language - ancient critics - poetry - modern critics - creativity

أولا : مفهوم اللغة الشعرية عند القدماء:

1. ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ) :

يرى ابن طباطبا أن النظم في الشعر هو الذي يميزه عن النثر المتبادل بين الناس فهو كلام مضبوط بمقاييس معينة تميزه عن غيره من الكلام، فيقول: "الشعر كلام منظوم بائن عن النثر الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خصَّ من النظم"(1)، فالشعر عند ابن طباطبا صناعة تتطلب أدوات خاصة تساير هذا البناء الخاص ليتميز بذلك الخطاب الشعري عن غيره من الصناعات، فابن طباطبا يقدم الألفاظ على المعاني، ويفرض على الشاعر التوسع في علم اللغة، والبراعة في الإعراب، والإحاطة بطريقة العرب في المخاطبات والصفات والأمثال، كما يوجب عليه الوقوف على بلاغة العرب، وأن يعطي كل معنى حظه من العبارة، كما ركز على اجتناب سفاسف الكلام وسخافة اللفظ وبرودة المعاني وعدم صدق التشبيه وبعد الأوصاف وغثاثة العبارة وابن طباطبا يرى أن بناء القصيدة يمر بمراحل، أولها أن يدير الشاعر المعاني في فكره، ويلائم معانيه وألفاظه، ويقع على الوزن المناسب للفظ المختار فيقول:" فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخّض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره، وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه؛ وينبغي أن تكون الألفاظ عنده من نمط واحد غير مخلجة ولا مختلطة ولا متفاوتة"(2)؛ فهو يؤكد على تناسب واتساق الأساليب ويضع الكلام مواضعه وفق ما يتطلبه المقام ويقتضيه الحال .

هذا يعني أن العملية الإبداعية تلزم صاحبها تحديد اللّغة الشعرية قبل شروعه في عمله باعتبارها العنصر الأساس في بنائه، فعلاقة اللّغة الشعرية بالتصور الذهني لديه أكثر من علاقتها بالعاطفة أو التجربة الشعورية، فالذي يحدّد عنصر القيمة في الشعر. عند ابن طباطبا . هو العقل؛ لأن تحقيق الغاية الجمالية للنص الشعري تستدعي صحة الوزن وصحة المعنى وعذوبة اللفظ وهذا لا يكون إلا بالانسلاخ من العواطف وتقليد أمر العملية الإبداعية للعقل والمنطق، "فالشعر بالنسبة له جَيَشان فكر قائم على الوعي التام المطلق خاضعا للتفقد في اللفظة بعد اللفظة، والشطر بعد الشطر، والبيت إثر البيت، فهو لا يعترف بطاقة تنظم السياق أو انفعال يبعث تدافع القول، وإنما القصيدة لديه كالرسالة تقوم على معنى في الفكر، فإذا أراد الشاعر نظما وضع المعنى في فكره نثرا ثم أخذ في صياغته بألفاظ متطابقة (3)

وعموما فإن ابن طباطبا قد حاول وضع معيار للشعر، به تعرف مواطن الجمال وسبل الوصول إليها، ومما يلحظ في جهده هذا أنه جعل للعقل نصيبا وافرا، وأغفل جانب التذوق الخالص، ولعّله تأثر في رأيه هذا بالتيارات العقلية والفلسفية التي سادت في عصره.

2. قدامة بن جعفر(ت337هـ):

يعرِّف قدامة بن جعفر الشعر بأنه: قول موزون مقفى يدل على معنى"(4) فالشعر عنده مكوّن من أربعة عناصر وهي: قول(لفظ) ووزن وقافية ومعنى وإذا تأملنا أية نظرية شعرية فإننا لا نجدها تحيد عن هذا الحد الذي وضعه قدامة.

ومن خلال هذا التعريف يتضح أن قدامة ناقد يولي الشكل اهتماما متميزا، ويرّد علّة الجمال في الشعر إلى ما ينطوي عليه الشعر من تجانس بين العناصر والأجزاء وهو يحاول . بالتركيز على الصناعة . تبرير قيمة الشعر، تلك القيمة التي ترتد إلى صورة القصيدة، والتي لا يمكن أن تفهم منفصلة عن عناصرها، والتي يحددها أخيرا"علم" يميز الجيد من الرديء في الشعر"(5).

وقد كان الهدف من وضع كتابه(نقد الشعر) وإنشاء علم الشعرية من خلال ذلك التعريف هو وضع علم به يميّز جيّد الشعر من رديئه لأنه وجدهم يخطئون وقليلا ما يصيبون(6).

وسواء اتفقت مع قدامة في تحديده لماهية الشعر من خلال الأسس التي ذكرها أو لم أتفق، إلا أنه يكفيه مثوبة أنه وفق في وضع أسس نظرية لتمييز حسن الشعر من رديئه، وما وضع قدامة لحد الشعر من خلال الأسس المذكورة إلا هو تحديد للغّة الشعرية من حيث المفهوم، فالشعر بنية لغوية معرفية جمالية، وتحليل بنية اللغة الشعرية هو كشف للصلة الرابطة بين اللغة ورؤيا الشاعر"(7) ذلك أنها غاية فنية في ذاتها بقدر ماهي وسيلة لتأدية معنى معين وخلق فكرة ما.

3. أبو النصر الفارابي(ت339هـ):

قسم الفارابي اللغة إلى قسمين: اللغة النمطية وهي لغة البرهان أو لغة العلم، واللغة التجاوزية وهي لغة الخطابة أولا ثم الشعر.(8)

4. أبو هلال العسكري(ت395هـ):

يرى العسكري أنه لابد من تحضير العناصر التي يتألف منها النص قبل الشروع في إنتاجه حيث يقول: "إذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي يريد نظمها فكرك وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتّى فيه إيرادها، وقافية يحتملها"(9)؛ أي على الشاعر تهيئة نفسه جيدا قبل إنتاج نصّه، وذلك من استحضار المعاني واختيار الوزن الملائم، والقافية المناسبة؛ لأنه كما يقول:" ... فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى ... أو تكون في هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه في تلك(10).

والملاحظ هو أن أبا هلال يؤكد على أهمية اللفظ في اللغة الشعرية ويظهر ذلك في قوله:" ... وتخيّر الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته"(11).

فلغة الشاعر. عنده . تتمايز عن لغة غيره في طريقة سبك الألفاظ وتأليفها إذ يقول:" تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها"(12)، بهذا التعصب للفظ أجد العسكري يتفق تماما مع الجاحظ الذي يرى أن المعاني مطروحة في الطريق.

والعسكري . بطبيعة الحال . إذ يركز على اللفظ في اللغة الشعرية ويضع شروطا تضبطه فانه لا يقصي المعنى فهو القائل: " ... المعاني تحلّ محل الأبدان والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة"(13). فهو إذن حين يؤثر اللفظ لا يعني ذلك إهماله للمعنى بشكل كلّي.

5. ابن رشيق القيرواني(ت456هـ):

أسس الشعر عند ابن رشيق خمسة: النية واللفظ والمعنى والوزن والقافية(14) فأما الأسس الأربعة الأخيرة فهو يتفق مع أغلب سابقيه، والجدّة عنده تكمن في اشتراط وجود النية والقصد في المرتبة الأولى وذلك أنه يوجد كلام موزون مقفى وبمعان جيدة، لكنه ليس شعرا، ولدينا أمثلة من ذلك في القرآن الكريم والحديث الشريف . على سبيل المثال ،. وعن قضية اللفظ والمعنى أجد ناقدنا يركز على أهمية كليهما فيقول في ذلك: " اللفظ جسم وروحه معنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر، وهجنة عليه ... ولا تجد معنى يختلّ إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب"(15).

لكنه مع ذلك يورد في عمدته رأي الذين آثروا اللفظ عن المعنى فكأنه يستأنس برأيهم فيقول:" قال العلماء: اللفظ أغلى من المعنى ثمنا وأعظم قيمة، وأعز مطلبا"(16) ذلك أنّ اللفظ هو الذي يبرز براعة الشاعر فأما المعنى فيستوي فيه الجاهل والحاذق على حد سواء، وقد استفاد من هذا المذهب النقاد المحدثين، فعلى سبيل المثال أجد كوهين لا يحفل بالمعاني؛ لأن الشاعر في رأيه شاعر لا بما يفكر أو يحس، ولكن بما يقول ويبدع، من ألفاظ ثم بفضل الطريقة التي يقول بها"(17).

وبصفة عامة فابن رشيق حاول في آراء عديدة له أن يؤكد على أهمية اللفظ والمعنى في آن واحد، لكن المتفحص لهاته الآراء يلحظ إيثاره للفظ على حساب المعنى.

وعلى العموم فهؤلاء جميعا قد مهدّ لهم الجاحظ (ت255هـ) في القرن الثالث الهجري حين قال:" ... فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"(18).

فالمعوّل على الشعر عنده إنما يقع على إقامة وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك.(19) وهذا هو بالضبط ما انطلق منه ابن طباطبا في تحديده لمفهوم الشعر.

6. عبد القاهر الجرجاني(ت471 هـ):

لم يرُق للجرجاني الرأي القائل بأفضلية اللفظ عن المعنى ولا الرأي القائل بالعكس . أي أفضلية المعنى على اللفظ . فرفض دعوى كلا الفريقين وبيّن أنّ دعاة اللفظ ودعاة المعنى

يرون بوجود اللفظ والمعنى فقط مع تقديم أحدهما على الآخر، ووضّح إهمالهم لجانب " التصوير"، في حين أن الصورة هي نتاج التفاعل الحاصل بين اللفظ والمعنى، فيقول في ذلك:" إن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وإن سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضّة والذهب، يصاغ منهما خاتم أو سوار"(20)، فالشاعر. عند الجرجاني. في علاقته باللغة يشبه الصانع الحاذق وعلاقته بالمادة فكما أنّ الصائغ يعيد تشكيل الخاتم أو السوار من الذهب أو الفضة، فالشاعر يعيد نسج الألفاظ في علاقات جديدة؛ إذ الألفاظ . شأنها شأن المادة . موجودة من البداية، وقد اصطلح الجرجاني لفظة"النظم" في نسيج العلاقات الجديدة بين الألفاظ وهاته العلاقات هي الأساس سواء في اللغة المعيارية أو اللغة الشعرية، وقد فصّل الجرجاني في اللغتين حيث وضح أن اللغة المعيارية هي التي يكون النظم فيها على أسس نحوية وهي اللغة التي تمنح المعنى، أي ظاهر اللفظ الذي يصل إليه بغير واسطة(21)، أما اللغة الشعرية فهي التي يكون فيها النظم على أسس أسلوبية وهي التي تنتج معنى المعنى فما يميز اللغة الشعرية عن غيرها عنده هو أنْ" تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"، وبهذا كانت نظرية النظم الجرجانية نظرية ناضجة لتفسير الظاهرة الإبداعية، فهي من أعلى الأسس التي حاولت تفسير الإبداع الشعري واستنباط قوانينه(22).

والملاحظ أن ما وصل إليه الجرجاني في دراسته للغة، وخروجه بنتيجة أن اللغة مجموعة من العلاقات، . وليست ألفاظا أو معان فقط . قد فتحت الباب على مصراعيه أمام نقاد الأدب . وخاصة الغرب المحدثين . في وضع أسس نظرية للغة الشعرية.

7. حازم القرطاجني(ت684هـ):

يرى الدكتور جابر عصفور أن القرطاجني قد جسّد مرحلة تكامل مفهوم الشعر ذلك المفهوم الذي تشكل على يد ابن طباطبا وقدامة(23).

وقد عرّف القرطاجني الشعر بأنه: " كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف كلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بجموع ذلك وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها و تأثيرها "(24) وهذا تعريف يحتوي على خاصيتين: خاصية عامة تتمثل في التخييل وخاصية ذاتية هي الوزن والقافية، فالشعر لا يتحقق بالعنصر التخييلي وحده، أو بالوزن والقافية فقط، فهو يتحقق باتصالهما وارتباطهما: فحازم يرى أن الوزن والقافية والمعنى مهمة لكنها لا تعني شيئا بدون تأثير؛ أي ما يفعله هذا الشعر في المتلقي ويعتبر تعريفه هذا تعريفا جديدا حيث وظّف المحاكاة والتخييل داخل الشعر(25)، والملاحظ أن القرطاجني قد ركّز . في تحديده للغة الشعرية . على اللغة في

العملية الإبداعية؛ ذلك أنها هي لب التجربة الأدبية. فمن خلال تعريفه هذا " نستدل على مقاربة القرطاجني الشمولية للشعر ففي الوقت الذي يتفحص فيه الشعر من ناحية وزنه وقافيته ... لا ينفي إمكانية اشتمال الأقوال النثرية على شعرية ما، من خلال حضور التخيل والمحاكاة "(26)، ويتجلى ذلك في قوله: " فما كان من الأقاويل القياسية مبنيا على تخييل وموجودة في المحاكاة فهو يعد قولا شعريا"(27).

"والشعر عند حازم ليس طبعا فحسب، وإنما هو إحاطة بقوانين يتأسس عليها علم الشعر"(28)، فالقرطاجني قد استنطق النصوص الأدبية العربية بعقل واع وذوق رفيع فاستطاع أن يبلور نظرية في الشعرية، تستند إلى مجموعة من القوانين والنظم التي تتحكم في عملية إنتاج النصوص الشعرية من ناحية ونقدها وتحليلها وكشف أبعادها من ناحية أخرى، فقد كان القرطاجني واعيا بقوانين الصناعة الشعرية والوسائل الفنية الداعمة لها.

فالشعرية عنده ليست مجرد صفة تلحق بالشعر ومعانيه كما هو شائع في التراث النقدي، بل بناء منهجي متكامل ينطلق من المقولات الذهنية والمعرفية والفلسفية والإنسانية لتأسيس مشروع أدبي نقدي إبداعي جمالي.

ومنه فإن الشعرية كمنهج نقدي لم يكن غائبا عن الفكر النقدي العربي القديم، فقد تناولوه في كتاباتهم تنظيرا وتطبيقا بوعي كامل، وإدراك حقيقي.

ثانيا: مفهومها عند المحدثين ونقاد الحداثة:

إن التلاحم الحاصل بين اللغة والشعر أدى إلى تمحور اهتمام نقاد الأدب المعاصرين حول ضرورة الوعي باللغة الشعرية لهذا فقد أصبحت الشعرية شيئا فشيئا بحثا في استراتيجيات اللغة والأدب"(29). ولطالما شغلت الشعرية اهتمام النقاد منذ إدراكهم لقيمة اللغة إلى يومنا هذا؛ ذلك أن " الشعرية هي البحث اللانهائي في اللغة والأدب اللانهائيين بدورهما"(30).

ولقد حققت الدراسات الحديثة للغة تحوّلا كبيرا في طريقة التعامل مع النص الشعري وكيفية تولّد بنياته اللغوية ابتداءً من دي سوسير الذي ميّز بين اللغة والكلام، وركّز على تزامنية اللغة، وقال باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، وصولا إلى المدرسة الشكلانية الروسية التي اشتهرت بدراستها الوصفية للغة الشعرية في حدود النسيج اللغوي وحده.

وبطبيعة الحال فإن النقاد العرب قد تأثروا بحركة التطور اللغوي والأدبي الحاصلة في الغرب، وهذه بعض آرائهم في مقاربة اللغة الشعرية كاصطلاح نقدي:

1. جماعة الديوان:

تتشكل هذه الجماعة من النقاد الثلاثة: عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمان شكري.

فالعقاد يرى أن الشعر لا يعني التشكيل اللغوي المقصود لذاته؛ بل هو ترجمة الانفعال المتوقد في وجدان الشاعر(31). وحتى يتم التعبير عن هذا الانفعال بصدق يجب الاهتمام بالمعنى دون

المبنى . حسب العقاد . ذلك أنه يرى أن اللفظ . بالأساس . ما هو إلا رمز مرتبط بذات الشاعر وانفعالاته وأحاسيسه، لكن بالمقابل أجده في مواطن أخرى يركّز على جانب الشكل بصورة عامة واللفظ بشكل خاص، وقد تجلى ذلك في تميزه بين لغة الإحيائيين ولغة الرومانسيين، فهو يرى أن ملامح الزخرفة اللفظية جلية في لغة الإحيائيين(32)، فكأن العقاد برأيه هذا قد وقع في تناقض، إذ كيف يدعو للاهتمام بالمعنى دون المبنى؟ في حين أجده في مقام آخر يولي عناية كبيرة باللفظ ويميّز بين لغة اتجاه عن اتجاه آخر.

أما اللغة الشعرية كاصطلاح فقدعرّفها العقاد كالآتي:"... أنها لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها فنّ منظوم منسّق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألّفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء"(33).

فاللغة الشاعرة . كما يسميها العقاد . لها شروط معينة قد حددها في هذا التعريف أهمها: انسجام البناء واتساقه، وتناسق الوزن والصوت بشكل عام.

والمازني أيضا يرى أن الشعر تعبير عن الذات، إذ إن العواطف والأحاسيس وحدهما يمثلان مجال الشعر عنده وليس الفكر والعقل(34)، وما اللغة لديه إلا وسيلة لتأدية المعنى والتعبير عن هذه الأحاسيس والمشاعر فقيمة اللفظ عنده تتجلى في تأثيره في السامع، وهذا لن يحصل إلا إذا تفاعل الأديب مع الألفاظ التي ينتجها؛ هذا يحيلنا . بدون عناء . إلى أن الوجدان هو أساس العملية الإبداعية؛ فنجاح العملية الإبداعية مرهون بمدى تطابق اللغة الشعرية بانفعالات المبدع، إذ يقول:" كل عاطفة تستولي على النفس وتتدفق تدفقا مستويا لا تزال تتلمس لغة مستوية مثلها في تدفقها، فإمّا وفّقت إليها واطمأنت، وإلا أحسّت بحاجة ونقص قد يعوقان تدفقها الطبيعي، وربّما دفعاها إلى مجرى غير طبيعي "(35).

وغير بعيد عن رأي العقاد والمازني رأي عبد الرحمان شكري فهو القائل :

ألا يا طائر الفردو س إنّ الشعر وجدان

وفي شدوك شعر النفـ س لا زور وبهتان(36)

فثلاثتهم يتفقون أن أساس الشعر هو الذات والوجدان، و بصفة عامة فإن آراءهم النقدية قد حققت تطورا في اللغة الشعرية؛ حيث ابتعدت عن الجزالة والرصانة إلى الخفة والرشاقة باستخدام لغة الحياة الجارية، وقد يقول قائل: إن هذا قد يؤدي إلى ميوعة اللغة وسطحيتها، لكن الواقع أن التأثير لا يستلزم جزالة وقوة، بل يشترط براعة في تأليف هاته الألفاظ العادية، وهاته البراعة مصدرها التفاعل الحقيقي والإحساس الصادق.

2. **جماعة المهجر:**

دعت هذه الجماعة المتشكلة من عدة أدباء أبرزهم إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة إلى إبداع جديد، وتمرّدت عن التراث ومحاكاة القديم، فثورتهم على اللغة الشعرية القديمة لطالما تأججت، فهذا ميخائيل نعيمة يشبه اللغة بالشجرة التي تتبدل أغصانها

اليابسة بأغصان خضراء، وأوراقها بأوراق حيّة(37)، فهو يؤكد على حتمية تطور اللغة بتطوّر الإنسان.

وهذا جبران خليل جبران أدت شدة تمرّده عن لغة القواميس إلى تصريحه بنبذ اللغة القديمة في إحدى مقالاته قائلا: " لكم لغتكم ولي لغتي"(38)، وقد حاول المهجريون كسر النظام الإعرابي للغة، والكتابة بالعامية أحيانا وقد جعلوا ضعف محصولهم اللغوي . مقارنة بثقافتهم الغربية الواسعة . مطية في دعوتهم للتجديد والتحرّر من قيود الماضي. والسر في دعوتهم هذه هو نزعتهم الرومنسية التي ترفض كل قيد مهما كان نوعه وتميل إلى الحرية مهما كان سبيلها.

وخلاصة القول أن اللغة الشعرية عند المهجريين بات فيها التساهل، و الخروج عن النظام التقليدي الوسيلة المثلى للمحافظة على حياة اللغة وإخراجها من حالة التحنيط التي أصابتها في القواميس، بمعنى أن تساهلهم في اللغة منبعه كما يزعمون . حرصهم عليها؛ إذ اللغة شأنها شأن الكائنات الحية تبلى فيها أشياء وتتجدد أخرى وإذا لم يكن هذا التجديد فإنها تموت وتنقرض.

3 . نقاد الحداثة:

يمثل هؤلاء الجيل الثالث من نقاد القرن العشرين، ومعظمهم من نقاد البنيوية وما بعدها طال هذا التأثر نظرتهم إلى اللغة الشعرية، فهم يرون أن اللغة القديمة لا يمكن أن تعبّر عن تجربة جديدة، كما يرون أن لغة الشعر هي لغة خلق لا لغة تعبير فأجد أدونيس يقول: " لقد انتهى عهد الكلمة الغاية، وانتهى معه عهد تكون فيه القصيدة كيمياء لفظية، أصبحت القصيدة كيمياء شعورية وأقصد بالشعور هنا حالة كيانية يتوقد فيها الانفعال والفكر والقصيدة إذن، تركيب جديد يتعرض فيه من زاوية القصيدة وبواسطة اللغة، وضع الإنسان، وهذا يعني أن لغة الشعر ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة خلق"(39).

وأدونيس من أكثر نقاد الحداثة تمييزا بين اللغة الشعرية وغير الشعرية، فهو يؤكد على التفريق بين لغة الإبداع ولغة التواصل، فمن مميزات اللغة الشعرية الحداثية عنده الانحراف عن المعنى المعروف والتحول عن السياق العادي، فهي اللغة التي تثير في قارئها لذة التساؤل ومتعة الكشف، فلغة الشعر عنده هي لغة الإشارة في حين اللغة العادية هي لغة الإيضاح ... فاللغة كلما ابتعدت عن حدود المنطق تشكلت شعريتها(40).

أما عز إسماعيل فقد عالج اللغة الشعرية من خلال النزاع حول قرب لغة الشعر من لغة الناس، فيقول:" ليس المقصود بلغة الناس هنا كلمات الناس التي تجري على ألسنتهم في الحياة اليومية، وإنما المقصود هو روح اللغة كما يتمثل في كلماتهم؛ أي يتعين على اللغة أن تخاطب الناس بما تحمل من هذا النبض، وإن اختلفت عن لغة الناس اليومية."(41)

فلغة الإبداع عند الحداثيين هي اللغة الخارجة عن سلطة قانون اللغةأي هي اللغة الملأى بالانزياحات، وقد كان الانزياح هو المحور الذي عمل فيه جون كوهين لتحديد ماهية اللغة الشعرية، فهو يرى أن الشعر" انزياح عن معيار هو قانون اللغة"(42).

ولكن كوهين قد حدّد قوانين لهذا الخروج عن سلطة اللغة؛ إذ لو كان مطلقا تماما، فهذا يؤدي إلى تعذّر التواصل الذي هو غاية اللغة؛ بمعنى أن الشعر عنده نعم هو انزياح وخروج عن اللغة المعتادة، لكن في حدود معينة، منها أن لا يكون كلاما غير معقول يستعصي تأويله، إذن فاللغة الشعرية تقف وسطا بين اللغة الخطابية التقريرية واللغة المنزاحة بشكل مبالغ فيه (لا معقولة)، وعموما فنقاد الحداثة أجمعوا على الاقتراب من اللغة اليومية في الخطاب الشعري.

وبصفة عامة فان القدماء والمحدثين قد اتفقوا على أن أساس تميز اللغة الشعرية عن غيرها هو اعتمادها على الانزياح عما تواضع عليه أهل اللغة في النثر العادي واختلافهم كان في شكل هذا الانزياح فقط، كما أن كل فريق عبّر عن ذلك بطريقته الخاصة . كما لوحظ في آراء النقاد السابقة . كما أن من أبرز ما اتفق عليه القدماء والمحدثين في تحديد اللغة الشعرية هو أن الشعر ظاهرة لغوية، والسبيل الوحيد إلى هاته الظاهرة هو اللغة؛ أي أن جوهر الشعر هو اللغة التي من خلالها تتجلى العبقرية والإبداع لهذا السبب نجد أن مركز الاهتمام النقدي لدى معظم نقاد الشعر هو اللغة"(43). فمجال اكتشاف الشعرية هو جسد النص اللغوي الذي تتجلى فيه"(44)، فالشعرية . حسب كوهين . " علم موضوعه الشعر "(45)؛ أي أنها علم يتخذ اللغة الشعرية موضوعا له لهذا فإن متحري الشعرية إذن عليه تحديد العناصر التي تحوّل الكلام من صورته النثرية العادية المألوفة إلى صورته الشعرية المخصوصة، وذلك عن طريق تحليل العناصر اللفظية للغة الشعر وهذا ما لخصّه جاكوبسن في تحديده لمفهوم الشعرية بـ " هو تمييز الاختلاف النوعي بين خطاب وخطاب "(46). إذ إن اللغة عندما تغادر نظامها لتدخل في نظام النص، فإنها لا تبقى أداة ناقلة، ولكنها تصبح ذاتا مبدعة لما تقول، أو تصبح هي حقيقة ما تقول "(47) .

وهذه اللغة التي تؤدي دورا غير عادي في الشعر تتطور على يد الشاعر الذي يمدّ الألفاظ بمعان جديدة(48)، فهي أبعد من أن تكون موضوعا قابلا للاختبار والتحليل ودراسة أجزائه فقط، " إنها تعبير عن إرادة، وكما أن المبنى ليس مجرد كومة من الطوب والخشب والاسمنت والحديد، بل هو تصميم من خلق الروح التي أرادته وتصورته ونفذته فان اللغة ينبغي أن ينظر إليها في علاقتها بالروح التي أبدعتها.(49).

الإحالات:

([1] ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، (د ط، مصر، شركة فن الطباعة 1965م). ص: 03 .

(2المصدر نفسه، ص: 05.

(3إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (ط2، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1993م). ص: 124.

(4قدامة بن جعفر البغدادي، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، (د ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1963م). ص: 02.

(5جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، (ط4، مطبوعات فرح، 1990م). ص:84 .

(6إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 179.

(7البشير مناعي، اللغة الشعرية عند الشنفرى،(رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005 . 2006م). ص: 22.

(8محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري،(ط1، الدار البيضاء، 1986م). ص:40.

(9أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: مفيد قميحة، (ط2، دار الكتب العلمية، 1989م). ص: 157 .

(10المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(11المصدر نفسه ، ص: 159.

(12المصدر نفسه، ص: 217 .

(13ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، ج1، (ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م). ص: 193.

(14المصدر نفسه، ص: 200.

(15المصدر نفسه ، ص: 204.

(16عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية، (ط1، دار الحداثة، بيروت 1986م). ص: 18.

(17الجاحظ، الحيوان، ج3، تح: عبد السلام هارون ومصطفى البابي الحلبي، (د ط، القاهرة، 1948م.). ص: 132.

(18المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

(19عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شر: محمد التونجي، (ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999م). ص : 197 .

(20المصدر نفسه ، ص: 203.

(21المصدر نفسه، ص: 204.

(22حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، (ط1، المركز الثقافي العربي بيروت، 1994م). ص: 26.

(23جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص: 11، 12.

(24حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق: على أبو رقية، (د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 1991م). ص: 75.

(25حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، ص: 31.

(26المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(27حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 67.

(28حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ص: 32.

(29هنري ميشونيك، تر: عبد الرحيم حزل، (ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، د ت). ص: 70 .

(30المرجع نفسه، ص: 22.

(31عباس محمود العقاد، مراجعات في الآداب والفنون، (د ط، دار الكتاب، بيروت، 1966م). ص: 166.

(32المرجع نفسه، ص: 167.

(33عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، (د ط، مكتبة الانجلو مصرية 1960م). ص: 08

(34إبراهيم عبد القادر المازني، الشعر غاياته ووسائطه، (د ط، مطبعة البوسفور، القاهرة، 1975م). ص: 20.

(35عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، ص: 24.

(36عبد الرحمان شكري، الديوان، تح: نقولا يوسف، مرا: فاروق شوشة، (د ط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميري، 199م). ص: 300.

(37ميخائيل نعيمة، الغربال المجموعة الكاملة، (د ط، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م). ص: 410.

(38شوقي بغدادي، "تحولات في بنية القصيدة العربية (مقال)، مجلة الموقف الأدبي، عدد 353، دمشق، آذار، 1999م ص: 12.

(39أدونيس، مقدمة للشعر العربي، (ط3، دار العودة، بيروت، 1979م). ص: 126.

(40سعيد بن زرقة، الحداثة في الشعر العربي، "أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع"،(ط1، لبنان، 2004م.). ص:224.

(41عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر وظواهره الفنية والمعنوية، (ط3، دار العودة، بيروت، 1981م.). ص:158.

(42جون كوهين، النظرية الشعرية بناء لغة الشعر، تر: احمد درويش، (د ط، دار غريب للطباعة، القاهرة 2000م). ص: 06 .

(43البشير مناعي، اللغة الشعرية عند الشنفرى. ص: 31.

(44كمال أبو ديب، في الشعرية، (ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1987م). ص: 144.

(45جون كوهين، النظرية الشعرية، بناء لغة الشعر، ص: 29.

(46جاكوبسن، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، (د ط، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1988م). ص: 24 .

(47رمضان كريب، القراءة وإيحاءات النص، (مجلة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تلمسان، ع7، جوان 2006م) ص: 27.

(48إبراهيم السامرائي، لغة الشعر بين جيلين (ط2، بيروت، المؤسسة العربية، 1980م). ص: 19 .

(49صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، (ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998م). ص: 14.